عقيدة أهل السنة والجماعة

(تأليف)

الإمام العلامة أبي جعفر بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي
رحمه الله

(علق حواشيها)

الشيخ محمد بن مانع

توزيع

دار المطبوعات الحديثة

جدة - سوق الندى - عمارة وقف الباشا / ت : ٦٤٢٣٠١١
الطائف - شارع هدية - جانب مسجد العباس / ت: ٧٣٢٢٥٤٤
المدينة المنورة - شارع السمانية - فرع مكتبة الإيمان / ت: ٨٣٦٢٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه :

وبعد ، فهذه حواش مفيدة نكتبها على العقيدة السلفية الجليلة التى ألفها الإمام العلامة أحمد بن محمد الطحاوى - رحمه الله تعالى - تفيد الطالبين ، وتنير السبيل للمسترشدين ، وقد رأينا أن نذكر قبل ذلك كلمات مفيدة ، كالمقدمة لهذه الحاشية مأخوذة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال « ومن شأن المصنفين فى العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين ، فيذكرون إثبات الصفات ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى يرى فى الآخرة خلافاً للجهمية من المعتزلة وغيرهم ، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مريد لجميع الكائنات ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، خلافاً للقدرية من المعتزلة وغيرهم ، ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب . ولا يخلد فى النار خلافاً للخوارج والمعتزلة ، ويحققون القول فى الإيمان ، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا خلافاً للمرجئة ، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم ، انتهى » وقوله رحمه « ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام » مراده كما بينه فى موضع آخر : أن الناس تنازعوا فى الأسماء والأحكام أى أسماء الدين مثل : مسلم ، ومؤمن ، وكافر ، وفاسق ، وفى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة ، فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة دون الدنيا ، فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج ، وفى الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين ، وهذه خاصة المعتزلة التى انفردوا بها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم .

مؤلف هذه العقيدة السلفية المفيدة

هو الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الأزدى إمام جليل القدر مشهور فى الآفاق وذكره الجميل علوه فى بطون الأوراق، ولد سنة ٢٩٠ هـ وقيل سنة ٢٣٠ هـ، تفقه أولا على خاله المزنى صاحب الإمام الشافعى على مذهب الإمام الشافعى، ثم تحول حنفياً فتفقه على مذهب الإمام أبو حنيفة، وهو رحمه الله كسائر الأئمة الكبار الذين لم يسلكوا مسلك المقلدين الذين لا بصيرة لهم، فى مدارك الأحكام. ولكن الأصول الشرعية التى مشى عليها وافقت أصول الإمام أبى حنيفة التى بنى عليها مذهبه ؟ ولهذا لما ذكر ابن القيم جماعة من أهل العلم فى النونية قال:

ما فى الذين حكيت عنهم آنفاً ... من حنبلى واحد بضمان
بل كلهم والله شيعة أحمد ... فأصولهم وأصوله سيان

ألف رحمه الله مؤلفات كثيرة شهيرة كمان الآثار ومشكل الآثار وغير ذلك مات سنة ٣٢١ وهو منسوب إلى قرية طحا بأسفل أرض مصر رحمه الله تعالى.

﴿ شروح هذه العقيدة ﴾

ذكر صاحب كشف الظنون لهذه العقيدة عدة شروح منها شرح العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن العز الأذرعى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ٧٩٢ وهو أحد تلامذة الحافظ بن كثير، وهذا الشرح هو الذى أصدر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله أمره بطبعه، وقد انتفع المسلمون بهذا الشرح المبارك المفيد الذى دل على غزارة علم مؤلفه وسعة اطلاعه وحسن معتقده رحمه الله. وقد رأينا أن نعلق على المتن ببعض الكلمات التى تفيد المستفيد وتعينه على فهم المراد من هذا المتن المفيد، وتحقق له بعض المواضع التى تحتاج إلى تحرير وتحقيق، وبالله التوفيق.

كتبه: محمد بن عبد العزيز بن مانع

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين)
هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب(١) فقهاء الملة أبي(٢) حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي (٣) يوسف يعقوب بن إبراهيم البجلي .

---

(١) قوله على مذهب فقهاء الملة الخ ، إعلم أن ما ذكره المصنف رحمه الله في هذه العقيدة ليس مختصاً بهؤلاء الأئمة المذكورين فقط، فإن أهل السنة والجماعة من الأولين والآخرين عقيدتهم واحدة ؛ لأنهم معتصمون بالكتاب والسنة ، ومن خالفهم في معتقدهم صار مبتدعاً ضالا ولا يعذر باجتهاده ؛ لأن العذر مقبول في الاجتهاد في فروع الأحكام لا في أصول الدين ؛ فالعقائد الدينية ليس فيها تعدد مذاهب ؛ بل الصواب مذهب أهل السنة والجماعة وما عداه باطل فتنبه .

(٢) هو الإمام النعمان بن ثابت الكوفي ولد سنة ٨٠ وأدرك جماعة من الصحابة قال الخطيب : إنه رأى أنس بن مالك وكان رحمه الله عالماً عاملا زاهداً عابداً ، ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى مات سنة ١٥٠ هـ ، وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي رحمه الله .

(٣) أبو يوسف هو الإمام المتقن المجتهد المطلق أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري البجلي ؛ ولد سنة ١١٣ أخذ العلم عن الإمام أبي حنيفة وغيره وأخذ عنه العلم جماعة منهم الامام أحمد رحمه الله ، وولاه الرشيد القضاء ، وظل عليه إلى أن مات سنة ١٨٣ ، ولما مات أبو يوسف أقر هرون الرشيد إبنه يوسف على القضاء إلى أن مات يوسف ، ولما خرجت جنازة أبي يوسف جعل الناس يقولون : مات الفقه ؛ مات الفقه فأنشأ بعضهم يقول :

يا ناعي الفقه إلى أهله ... إن مات يعقوب وما تدري
لم يمت الفقه ولكنه ... حول من صدر إلى صدر

وأبي عبد الله محمد (١) بن الحسن الشيباني ، رضي الله عنهم أجمعين ، وما يعتقدون في أصول الدين ويدينون به لرب العالمين .

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله تبارك إسمه وتعالى جده وجل ثناؤه واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره ، قديم (٢) بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبيد ، ولا يكون إلا مايريد لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولايشبه الأنام ، حي لا يموت ، قيوم لا ينام ، خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤنة ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، كان الرشيد ولاه القضاء ، وخرج مع الرشيد في سفره إلى خرسان فمات بالري ، ودفن بها ، كان أبوه من جند أهل الشام فقدم واسطا فولدبها محمداً سنة ١٣٢ ونشأ بالكوفة وأخذ العلم عن أبي حنيفة ومالك وأبي يوسف وغيرهم ، وكان له مجلس في مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة ، قال إبراهيم الحربي : قلت للإمام أحمد : من أين لك هذه المسائل الدقيقة ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن مات رحمه الله بالري سنة ١٨٩ ، قال السمعاني : مات محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد بالري ، وقيل إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالري ، ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفراء الإمام المشهور بالنحو واللغة ، رحم الله الجميع .

(٢) قوله « قديم » يوصف سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك كما ذكره ابن القيم في البدائع ؛ وباب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية ؛ وأهل العلم يذكروا لفظة القديم في الأسماء الحسنى ، ولكنهم يخبرون عنه سبحانه بذلك قال في النونية :

وهو القديم فلم يزل بصفاته سبحانه متفرداً بل دائم الإحسان

صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال بها أبدياً ، ليس من خلقه الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد إسم البارى ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ؛ وكما أنه محي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الإسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق إسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك بأنه على كل شيء قدير(١) ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر إليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء (ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو السّميعُ البصيرُ) خلق الخلق بعلمه وقدرته ، وقدر لهم أقداراً ، وضرب لهم آجالا ، لم يخف عليه شيء قبل أن خلقهم ، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجرى بقدرته ، ومشيئته بتقديره ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، يهدى من يشاء ، ويعصم ويعافى فضلا

---

(١) يجيء فى كلام بعض الناس وهو على ما يشاء قدير ، وليس ذلك بصواب بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة وهو على كل شيء قدير ، لعموم مشيئته وقدرته تعالى خلافاً لأهل الاعتزال الذين يقولون إن الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصى بل وقعت من العبد بإرادته لا بإرادة الله ، ولهذا يقول أحد ضلالهم :

زعم الجهول ومن يقول بقوله أن المعاصى من قضاء الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضا حد الزناء وقطع كف السارق

وقال أبو الخطاب رحمه الله فى بيان الحق والصواب :

قالوا : فأفعال العباد فقلت ما من خالق غير الإله الأمجد
قالوا : فهل فعل القبيح مراده قلت الإرادة كلها للسيد
لو لم يرده وكان كان نقيصة سبحانه عن أن يعجزه الردى

وهذه الإرادة التى ذكرها أبو الخطاب فى السؤال هى الإرادة الكونية القدرية لا الإرادة الكونية الشرعية ، كما سيأتى بيان ذلك موضحاً .

ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلا ، وكلهم يتقلبون فى مشيئته وعدله لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك كله ، وأيقنا أن كلا من عنده ، وأن محمداً ﷺ عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوة النبوة بعده نفى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى وبالحق والهدى والنور والضياء .

وأن القرآن كلام الله تعالى (١) منه بدا ، بلا كيفية قولا ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله تعالى وعابه ، وأوعده عذابه حيث قال (سأصليه سقر) فلما أوعد الله سقر لمن قال (إنْ هذا إلاّ قولُ البشر) علمنا وأيقنا قول خالق البشر ولا يشبهه قول البشر ، ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار ازدجر .

واعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر ، والرؤية حق(٢) لأهل الجنة بغير

---

(١) القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه : فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال ، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم ، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله ، والنبي سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله :

وكذلك القرآن عين كلامه الـ مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربى كله لا بعضه لفظاً ومعنى ماهما خلقان
تنزيل رب العالمين ووحيه اللفظ والمعنى بلا روغان

(٢) لا شك أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم كما ثبت ذلك =

إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا (وُجوهٌ يَومَئذ ناضِرَةٌ إلى رَبّها ناظِرَة) وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد الله ، ولا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ماسلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه ، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم ، ومن رام ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة وصحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار ، موسوساً تائهاً . شاكاً زائغاً ، لا مؤمناً مصدقاً ، ولا جاحداً مكذباً .

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم(١) أو تأولها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم ، وعليه دين المرسلين ، ومن لم يتوق النفى والتشبيه زل ولم

= عن النبي ﷺ ، فهم يرون ربهم بأبصارهم رؤية حقيقية كما يرون القمر والشمس صحواً ليس دونهما سحاب ؛ وهذا متواتر عن النبي ﷺ لم ينكره سوى المعتزلة ومن تابعهم على الضلال ، قال فى النونية .

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان

وأما فى الدنيا فإنه سبحانه وتعالى لا يراه أحد من عباده ؛ ولما سئل النبي عليه السلام ؛ هل رأيت ربك قال نوراً إنى أراه أى حالت بينى وبين رؤيته تعالى الأنوار وقالت عائشة : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب .

(١) أى توهم أن الله تعالى يرى على صفة كذا فيتوهم تشبيهاً وقوله أو تأولها بفهم أي ادعى أنه فهم لها تأويلا يخالف ظاهرها وما يفهمه كل عربي من معناها .

يصب التنزيه (١) ، وليست بصفة كمال ، إذ المعدوم لا يرى وإنما الكمال فى إثبات الرؤية ، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ، ليس فى معناه أحد من البرية ، تعالى عن الحدود (٢) والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، ولا تحويه (٣) الجهات الست كسائر المبدعات

والمعراج حق وقد أسرى بالنبى ﷺ وعرج بشخصه فى اليقظه إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلى وأكرمه الله تعالى بما شاء وأوحى إليه ما أوحى ، والحوض الذى أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق ، والشفاعة

---

(١) وذلك أن المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله تعالى بهذا النفى وهل يكون التنزيه بنفى صفات الكمال ، فإن نفى الرؤية ليس بصفة كمال إذ المعدوم هو الذى لا يرى وإنما الكمال فى إثبات الرؤية .

(٢) قوله تعالى عن الحدود الخ مراده بذلك الرد على المشبهة ولكن هذه الكلمات مجملة مبهمة وليست من الألفاظ المتعارفة عند أهل السنة والجماعة ؛ والرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق وأولى من ذكر ألفاظ توهم خلاف الصواب ، ففى قوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) رد على المشبهة والمعطلة ، فلا ينبغى لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها ، فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال فهو سبحانه فوق مخلوقاته مستو على عرشه المجيد بذاته بائن من خلقه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويأتى يوم القيامة وكل ذلك على حقيقته ولا نؤوله كما لا نؤول اليد بالقدرة والنزول بنزول أمره وغير ذلك من الصفات بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف وما كان أغنى الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة ولو قيل إنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندى ببعيد إحساناً للظن بهذا الإمام وعلى كل حال فالباطل مردود على قائله كائناً من كان ومن قرأ ترجمة المصنف الطحاوى لا سيما فى لسان الميزان عرف أنه من أكابر العلماء وأعاظم الرجال وهذا هو الذى حملناه على إحسان الظن فيه فى كثير من المواضع التى فيها مجال لناقد .

(٣) دلت دلائل الكتاب والسنة على أن الله تعالى فوق مخلوقاته مستو على =

التى أدحرها لهم حق ؛ كما روى فى الأخبار ، والميثاق الذى أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته حق ، وقد علم الله تعالى ولم يزل عالماً عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة . فلا يزاد فى العدد ولا ينقص منه ، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه ، وكلٌّ ميسر لما خلق له ، والأعمال بالخواتم ؛ والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى ، والشقى من شقى بقضائه (١) .

وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه (٢) لم يطلع على ذلك ملك مقرب ؛

= عرشه كما قال تعالى «الرحمن على العرش استوى» وقال تعالى «وهو القاهر فوق عباده» فالجهات الست عدمية فى حقه لأنه تعالى فوقها كما قال ابن القيم فى النونية .

كل الجهات بأسرها عدمية ... فى حقه هو فوقها ببيان
قد بان عنها كلها فهو المحيـ ... ـط ولا يحاط بخالق الأكوان

(١) قال الحافظ ابن رجب والإيمان بالقدر على درجتين ؛ إحداهما الايمان بأن الله سبق فى علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار وأعدلهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق فى علمه وكتابه ، والدرجة الثانية أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهنى ، وقد قال كثير من أهل السلف ؛ ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا وما أحسن قول الامام الشافعى ؛

فما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

(٢) قال الشارح ، أصل القدر سر الله فى خلقه وهو كونه أوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأمات وأحيا وأضل وهدى والذى عليه أهل السنه والجماعة أن كل شىء بقضاء الله وقدره ، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد قال تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً

ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان وسُلَّم الحرمان ؛ ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً أو فكراً أو وسوسة ، فإنه تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه ، كما قال عز من قائل : (لا يُسألُ عما يَفعلُ وهم يُسألون) فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين . فهذا جملة (١) ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى . وهى درجة الراسخين فى العلم . لأن العلم علمان علم فى الخلق موجود . وعلم فى الخلق مفقود . فإنكار العلم الموجود كفر . وادعاء العلم المفقود كفر . ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وبرد طلب العلم المفقود .

ونؤمن باللوح (٢) والعلم وبجميع ما فيه قد رقم . فلو اجتمع الخلق كلهم

قلت وهذه الإرادة هى الإرادة الكونية القدرية وأما إرادة الإيمان من المؤمن وسائر الأعمال الصالحة فهى إرادة كونية قدرية شرعية وكل أفعال العباد من طاعة ومعصية وكفر وإيمان وقع ذلك منهم بمشيئة الله تعالى وهذا معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

(١) المشار إليه بقوله : فهذا هو ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده والعمل بما جاءت به الشريعة وقوله : وهى درجة الراسخين فى العلم أى علم ما جاء به الرسول جملة وتفصيلا نفياً وإثباتاً ويعنى بالعلم المفقود علم القدر الذى طواه الله عن أنامه ونهاهم عن مرامه ويعنى بالعلم الموجود علم الشريعة أصولها وفروعها فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين ، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين (انتهى من الشرح) وقد ذكر أدلة هذه الأحكام فليراجع :

(٢) قوله ونؤمن باللوح والقلم الخ قال الله تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) فالقرآن الكريم مكتوب فى اللوح المحفوظ ، كما أخبر الله سبحانه بذلك وجبريل عليه السلام سمعه من الله وبلغه نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام منزل من ربك بالحق ، ولم يقل من اللوح المحفوظ ولا منافاة بين كونه فى اللوح المحفوظ وبين إنزاله من الله كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقال شيخ الإسلام واللوح المحفوظ فوق السموات وقد جاء فى الحديث أنه لا ينظر فيه غير الله عز وجل قلت ومن هذا يتبين لنا ضلال من قال إن روح العبد تطلع على اللوح المحفوظ ، فإن هذا قول الفلاسفة وهو من خرافات عباد الصالحين أو الطالحين كما هو راسخ بينهم فاحذروه فإنه كذب .

على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وعلى العبد أن يعلم أن الله تعالى سبق علمه فى كل كائن من خلقه (١) فقدر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير . ولا محول ولا ناقص ولا زائد من خلقه فى سمواته وأرضه ، وذلك (٢) من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته (٣) كما قال الله تعالى فى كتابه (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً) (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) .

وأما القلم المذكور فهو الذى خلقه الله وكتب به فى اللوح المحفوظ المقادير ، كما فى حديث عبادة بن الصامت الذى رواه أبو داود مرفوعا أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .

واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش على قولين حكاهما ابن القيم فى النونية ، واختار أن القلم خلق بعد خلق العرش ولهذا قال :

والناس مختلفون فى الذى كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أوهو بعده قولان عند أبى العلا الهمذانى
والحق أن العرش قبل لأنه وقت الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت إيجاده من غير فصل زمان

(١) هذا فيه رد لما ذهب إليه غلاة المعتزلة الذين أنكروا كون الله تعالى عالما فى الأزل وقالوا إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد ، حتى يفعلوها ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . قال الله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

(٢) الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر ، وسبق علم الله تعالى بالكائنات قبل خلقها .

(٣) قوله والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته ، أى لا يتم التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالايمان بصفات الله تعالى . فإن من زعم خالقا غير الله فقد أشرك فكيف بمن زعم أن كل أحد يخلق فعله ، ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة

فويل لمن صار قلبه فى القدر قلبا سقيما ، لقد التمس (١) بوهمه فى فحص الغيب سراً كتيما وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما .

والعرش والكرسى حق كما بين الله تعالى فى كتابه (٢) وهو جل جلاله مستغن عن العرش ومادونه محيط بكل شىء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه .

ونقول إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما إيماناً وتصديقاً وتسليما ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ، ونسمى أهل ملتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما

---

(١) وقوله لقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سراً كتيما أى بوهمه فى البحث عن البحث سراً مكتوما ؛ إذ القدر سر الله فى خلقه ؛ فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب. وقد قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول وقوله وعاد بما قال فيه أى فى القدر أفاكا أثيما أى مأثوما . اه شرح

(٢) لما ذكر المصنف العرش والكرسى الذى هو بين يدى العرش ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش ومادون العرش ، كما قال تعالى وهو الغنى الحميد . ليبين سبحانه أن خلقه للعرش لاستوائه عليه ليس لحاجته إليه؛ بل له فى ذلك حكمة اقتضته. ثم اعلم أن الاستواء على العرش ، إنما حصل بعد خلق السموات والأرض ، كما قال تعالى « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » وثم هنا للترتيب لا لمجرد العطف ؛ كما قال الناظم :

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ومن علمه لم يخل فى الأرض موضع

وأما معنى الاستواء فى لغة العرب التى نزل بها القرآن فهـو العلو والارتفاع والاستقرار والصعود ، كما ذكر ذلك ابن القيم بقوله :

ولهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان
منها استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذى مافيه من نكران
وكذاك قد صعد الذى هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول فى تفسيره أدرى من الجهمى فى القرآن
والأشعرى يقول تفسير استوى بحقيقة استولى من البهتان
نون اليهود ولام جهمى هما فى وحى رب العرش زائدتان

جاء به النبي ﷺ معترفين بكل ماقال وأخبر مصدقين (١)، ولا نخوض في الله تعالى ولا نماري في الدين ولا نجادل في القرآن . ونعلم أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وعلى آله أجمعين .

وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه (٢)، ولا نخالف جماعة المسلمين ،ولا يكفر (٣) أحد من أهل القبلة بذنب مالم يستحله،

---

(١) وليس التصديق والاعتراف فقط ، كافيين في الاسلام والايمان اللذين أمر الله ورسوله بهما ، فالاسلام والايمان اللذان عليهما مدار النجاة هما المذكوران في حديث جبريل المشهور عليه السلام المتضمن للتصديق والاقرار والعمل .

(٢) اعلم أن القائلين بخلق القرآن أشهرهم طائفتان : إحداهما المعتزلة فإنهم يقولون : القرآن الذى جاء به جبريل هو كلام الله حقيقة ولكنه مخلوق ، والثانية المتكلمون من الكلابية وأتباعهم فهم يقولون كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى إن عبر عنه بالعبرانية صار توراة وإن عبر عنه بالسريانية صار إنجيلا وإن عبر عنه بالعربية صار قرآناً . وهذه الخرافة يعتقدونها ديناً يدينون الله به ، وهم يوافقون المعتزلة في أن القرآن الذى جاء به جبريل مخلوق إلا أن المعتزلة يقولون هو كلام الله حقيقة والكلابية وأتباعهم يقولون هو عبارة وحكاية عن كلام الله فعلى قول هؤلاء الكلابية وأتباعهم يكون النبي عليه السلام لم يبلغ كلام الله وإنما بلغ مايدل عليه وماهو حكاية عنه . وفي هذا إنكار للرسالة ،لأن الرسول إنما يبلغ كلام المرسل وقد ألزمهم أهل السنة بذلك ، قال ابن القيم في النونية :

وإذا انتفت صفة الكلام كذلك الـ ... إرسال منفى بلا فرقان
فرسالة المبعوث تبلغ كلا ... م المرسل الداعى بلا نقصان

إلى آخر ماذكره من الأبيات العظيمة التى يعض عليها بالنواجذ ومن أعجب العجب أن يتذاكر العالم من أتباع الكلابية في مثل هذه الأبحاث ، فإذا مر ذكر الجهمية والمعتزلة قال إنهم قد انقرضوا ولم يبق لهم ولا لعقائدهم عين ولا أثر ،ولم يدر المسكين أنه هو وارث التجهم والاعتزال ، وأن معتقده معتقدهم سواء بسواء .

(٣) قوله ولا يكفر أحد من أهل القبلة الخ ، المراد بأهل القبلة هم الموحدون الله في عبادته ؛ المخلصون له في معاملته ، العاملون بمعنى كلمة التوحيد ظاهراً وباطناً ، المصدقون لرسول الله في جميع ما أخبر به ، الممتثلون أمره الذين لم يأتوا بما يناقض

ولانقول (١) لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة (٢) ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولانقنطهم والأمن والإياس سبيلان عن الملة وسبيل الحق بينهما لأهل

لاإله إلا الله ، وإلى هذا المعنى أشار المصنف بقوله سابقا ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبى معترفين وله بكل ماقاله وأخبر مصدقين لأننا نعتقد أن المراد الايمان الكامل المتضمن للاعتقاد والاقرار والعمل ومراد الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب .

(١) قوله ولانقول لايضر مع الايمان ذنب لمن عمل الخ مراده بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين لايضر مع الايمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة فهؤلاء فى طرف والخوارج فى طرف ؛ فإنهم يقولون بكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير ، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الايمان لكن الخوارج يقولون يخرج من الايمان ويدخل فى الكفر . والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولايدخل فى الكفر ، وهذه المقالة الخاطئة هى المنزلة بين المنزلتين التى هى خاصة مذهب المعتزلة ، وبقولهم بخروجه من الايمان أوجبوا له الخلود فى النار . (تنبيه) كنت أقرأ فى كتب المقالات واختلاف الناس فى المعتقدات فأقف على غلو المعتزلة فى عقائدهم فأرجع إلى كتب التراجم وأبحث عن تراجم أكابر شيوخهم فاجد فيها الأمر المنكر العجيب من التلاعب فى الدين وانتهاك حرماته فصح عندى أن ذلك من شؤم عقائدهم وفساد نحلتهم ؛ ومن قرأ ترجمة النظام وأبى الهذيل العلاف والماجن الجاحظ عرف ذلك . نسأل الله السلامة

(١) قوله ولا نشهد لهم بالجنة : اعلم أن الذى عليه أهل السنة والجماعة أنهم لايشهدون لأحد من المسلمين بجنة ولانار إلا من شهد له رسول الله وأخبر عنه بذلك ولكنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء وبهذا تعلم ماعليه كثير من الناس إذا ذكروا عالماً أو أميراً أو ملكا أو غيرهم قالوا : المغفور له أو ساكن الجنان وأنكى من ذلك قولهم : نقل إلى الرفيق الأعلى ولاشك أن هذا قول على الله بلاعلم والقول على الله بلاعلم عديل الشرك كما قال تعالى (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وأما المشرك فنشهد له بالنار لأن الله قال : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)

القبلة (١) ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله (٢) فيه .

والايمان (٣) هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان (وأن جميع ما أنزل الله تعالى فى القرآن) وجميع (٤) ماصح عن رسوله من الشرح والبيان كله حق والايمان واحد وأهله فى أصوله سواء(٥) والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الأهواء

---

(١) قال الشارح : يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله فإذا تجاوز ذلك خفيف من اليأس والقنوط والرجاء المحمود رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته .

أما إذا كان الرجل متمادياً فى التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمنى والرجاء الكاذب

(٢) يريد بذلك الرد على الخوارج والمعتزلة الذين قالوا بخروجه من الايمان بارتكاب الكبيرة .

(٣) قوله : والايمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان اقتصر المصنف على هذين الركنين فى بيان الايمان وهو قول المرجئة وذهب مالك والشافعى وأحمد وسائر أهل الحديث إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا هو الحق والصواب .

(٤) قوله وجميع ماصح عن رسول الله الخ: يريد بذلك الرد على سائر الجهمية المعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان متواتر وآحاد فالمتواتر وإن كان قطعى السند لكنه غير قطعى الدلالة فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ولهذا قدحوا فى دلالة القرآن على الصفات قالوا والآحاد تفيد العلم ولا يحتجون بها من جهة متنها فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وأفعاله من جهة الرسول وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية والحق والصواب ماذهب إليه كبار الأئمة المحققين من أن خبر الواحد العدل يفيد العلم كما فى فتح المجيد ورسالة شيخ الاسلام ابن تيمية فى أصول التفسير وكذلك ابن القيم أطال البحث فى النونية والصواعق بما يشفى ويكفى ، وذهب غير واحد إلى أن خبر الصحيحين يفيد العلم اليقينى (راجع أوائل لوائح الأنوار) للسفارينى وهو الحق

(٥) الحق الذى لا إشكال فيه أن الايمان متفاوت فى أصله فإيمان آحاد الناس =

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن (١) وأكرمهم أطوعهم له وأتبعهم للقرآن وإن الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى، ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم على ما جاءوا به.

وأهل الكبائر فى النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله تعالى عارفين (٢) وهم فى مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم كما ذكر الله تعالى فى كتابه: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجون منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى

= ليس كإيمان جبريل ولا كإيمان رسول الله والقول بأن الناس بأصل الايمان سواء ليس من عقائد أهل السنة.

(١) أولياء الرحمن هم: الذين عملوا بما ورد فى الكتاب والسنة فأدوا ما أوجب الله عليهم وتركوا ما حرمه من المعاصى فهم المتقربون إلى الله بطاعته وطاعة رسوله عليه السلام، وأما أهل التدجيل والتلبيس بزعمهم دخول النار ومسك الحيات فهؤلاء أولياء الشيطان.

(٢) قوله عارفين: لا يخفى أن المعرفة القلبية وحدها ليست كافية بالايمان وقد خالف المصنف ماذهب إليه سابقا من أن الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهذا مذهب أبى حنيفة وأصحابه فى الايمان وأما مذهب السلف فالايمان اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالاركان وهذا هو الصواب. وذهبت الكرامية إلى أنه قول باللسان وقالت الجهمية: إنه الاعتقاد بالجنان وهذا هو الذى اقتصر عليه المصنف فعلى هذا ليس فى الناس كافر فإنهم معترفون بوجود الله وأنه ربهم وخالقهم الله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فالله سبحانه وتعالى كفر المشركين مع اعترافهم بأنه خالق السموات والارض وكذلك إبليس وأبو جهل وفرعون وقارون وهامان وغيرهم من طوائف الكفر كلهم مؤمنون على زعم الجهم وأتباعه، لانهم يعترفون بأن الله ربهم وخالقهم فهم =

الجنة بعد ذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته (١) ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته ، اللهم ياولى الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك به .

ونرى الصلاة خلف كل بر (٢) وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا نفاق مالم يظهر منهم شىء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف .

= مؤمنون على هذا القول للباطل المردود وقد ورد ماذكره المصنف أئمة الإسلام كابن القيم وغيره قال رحمه الله فى النونية :

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الايمان
والناس فى الايمان شىء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدى الأوثان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ... الخلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الر ... ب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملو الايمان

(١) وقوله : بأن الله مولى أهل معرفته يقال فيه ماتقدم من التحرير والبيان .

(٢) قوله : ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر مراده بذلك الرد على الرافضة وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى صحة الصلاة خلف الفاسق فذهب الشافعى وأبو حنيفة إلى صحتها مع الكراهة . وذهب الامام أحمد ومالك إلى عدم الصحة والفاسق هو الذى ارتكب الكبيرة و أصر على الصغيره ولا فرق فى صحة الصلاة خلف الفاسق عند الامام أحمد بين أن يكون فسقه من حيث الاعتقاد أو العمل ، وعند الامام أحمد تصح خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيد إذا تعذر فعلهما خلف غيره وأما سائر الصلوات فلا تصح خلف الفاسق على المذهب لقوله عليه السلام (اجعلوا أئمتكم خياركم) وقوله : ولا يؤم فاجر مؤمنا ، قال شيخ الاسلام =

ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا وظلموا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدنا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله تعالى فريضة وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ(١) والخلاف والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة ،

ونقول : الله أعلم بما اشتبه علينا علمه ، ونرى المسح على الخفين(٢) فى السفر والحضر كما جاء فى الأثر ، والحج والجهاد فريضتان ماضيتان مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شىء ولا ينقضهما.

ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهل لذلك العذاب وسؤال منكر ونكير للميت فى قبره عن ربه ودينه ونبيه

= ابن تيمية . وأما احتجاج المعارض بقوله تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا حديث لم يثبت وقد بسط العلماء الكلام على هذه المسألة فى باب الامامة من كتب الفقه

(١) وهذا فيه سلامة دين الانسان فينبغى له فى مسائل الخلاف أن يأخذ بقول جمهور العلماء لأن ما خالف قول الجمهور شاذ لا يعول عليه مالم يكن فى ذلك دليل نص من الكتاب أو السنة فالاخذ به واجب وهذا بالاجماع كما حكاه الامام الشافعى رحمه الله .

(٢) قوله : ونرى المسح على الخفين الخ . أى لثبوته عن النبى ﷺ فعلا وقولا من رواية سبعين صحابياً كما حكاه الحسن : وقال الامام أحمد ليس فى نفسى شىء من المسح على الخفين فيه أربعون حديثاً عن النبى عليه السلام وعد السيوطى أحاديث المسح على الخفين من الاحاديث المتواترة حيث قال فى ألفية الحديث :

خمس وسبعون رووا من كذبا   ومنهم العشرة ثم انتسبا
لها حديث الرفع لليدين   والحوض والمسح على الخفين =

على ماجاءت به الآثار عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان .

والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً ولا يبيدان(١) والله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم للجنة فضلا منه ومن شاء منهم للنار عدلا منه ، وكل يعمل على ما فرغ منه وصائر إلى ما خلق له .

= ولا ينكر المسح على الخفين إلا أهل البدع كالروافض الذين لا يتقيدون بالسنة الثابتة بل يردونها بآرائهم الكاسدة الفاسدة .

(١) قوله والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً الخ أجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان لأن أدلة الكتاب والسنة الدالة على ذلك وقصة آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها معلومة عند كل من قرأ القرآن الكريم أو سمعه ويرحم الله ابن القيم حيث قال

فحى على جنات عدن فإنها منازلنا الاولى وفيها المخيم

وقد وردت الاحاديث الكثيرة الدالة على وجود الجنة والنار كما في حديث صلاة الكسوف الذى صرح به النبي عليه السلام فى رؤية الجنة والنار وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الجنة لا تفنى ولا تبيد لقوله تعالى (أكلها دائم وظلها) وقوله تعالى (عطاء غير مجذوذ) وغير ذلك من الأدلة . وأما النار فكذلك عند جمهور السلف لا تفنى ولا تبيد ولا يخرج منها أحد من أهلها كما قال تعالى (وماهم بخارجين من النار) بل أهل الجنة وأهل النار خالدون فيهما كما جاء فى الحديث الصحيح . يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت وقد نقل عن بعض العلماء السالفين القول بفناء النار ونسب ذلك إلى شيخ الاسلام ابن تيمية ولكنه لم يثبت عنه ، وكذلك تلميذه ابن القيم بسط القول فى هذه المسألة فى كتابه شفاء العليل وحادى الارواح ولكنه لم يجزم بفناء النار بل قال بعد أن ذكر أكثر من عشرين دليلا على ذلك إن قيل إلى أين انتهى قدمك فى هذه المسألة العظيمة قيل إلى قوله تعالى (إن ربك فعال لما يريد) ولكنه صرح فى كتاب الوابل الصيب أن الجنة والنار لا تفنيان وأن النار التي تفني نار عصاة الموحدين . —

والخير والشر مقدران على العباد والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوقون به مع الفعل ، كما قال عز من قائل : (لا يُكلفُ الله نفساً إلا وُسعَها) .

وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد لا يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم به (١) وهو تفسير قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى

= تنبيه : أورد ابن القيم فى شفاء العليل وحادى الأرواح قوله تعالى (وماهم منها بمخرجين) فى حق أهل النار والصواب أنها قيلت فى أهل الجنة فليحفظ ثم اعلم أن مقصد أهل السنة والجماعة من ذكر خلق الجنة والنار وعدم فنائها الرد على الجهم وأتباعه المخالفين لنصوص الكتاب والسنة بآرائهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة . وقد تصدى ابن القيم وغيره من أهل السنة لحكاية أقوالهم والرد عليها ونصر السنة والذب عنها . والجهم إنما سلك هذا المذهب الوخيم طرداً للدليل عنده وهو الدليل المسمى بدليل الأكوان إذ مبناه على قطع التسلسل وهو منع حوادث لا أول لها ؛ فكذلك يمتنع حوادث لا آخر لها والرد عليه مبسوط فى النونية وقد حكى ابن القيم قول الجهم فى فناء الجنة والنار ورد عليه فى أبيات منها

وقضى بأن النار لم تخلق ولا جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون فى الحركات لا فى الذات واعجبا لذا الهذيان

(١) قوله ولا يطيقون إلا كلفهم به أى لا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه والشارح رد على المصنف ذلك بأن التكليف لا يستعمل بمعنى الاقدار وإنما يستعمل بمعنى الامر والنهى ثم قال ولا يصح ذلك يعنى قوله ولا يطيقون إلا ما كلفهم بل يطيقون فوق ما كلفهم به . قلت لأنه فى إمكان الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه سبحانه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر قال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم) وقال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله هو الحق والصواب

العظيم ، يقول : لاحيلة لأحد ولاقوة لأحد ولا حركة لأحد ولاتحويل لأحد عن معاصى الله إلا بمعونة الله ، ولاقوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله وكل شيء بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره .

غلبت مشيئته المشيئات كلها ، وغلب قضاؤه الحيل كلها ، يفعل الله مايشاء وهو غير ظالم أبداً (١) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وفى دعاء الأحياء منفعة للأموات (٢) والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويملك كل شيء ، ولا يملكه شيء ، ولاغنى عنه طرفة عين ، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وكان من أهل الحين (٣) ، والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ، ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط فى حب أحد منهم ولانتبرأ من حب أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولانذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم نفاق وطغيان .

---

(١) أى لأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه كما حرمه على عباده . والظلم وضع الأشياء فى غير مواضعها ؛ ودلت دلائل الكتاب والسنة على أن الله تعالى قادر على الظلم ولكنه لايفعله كما قال تعالى : (إن الله لايظلم الناس شيئاً) وقال تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما) والهضم أن ينقص من جزاء حسناته والظلم أن يعاقب بذنوب غيره فهو سبحانه منع نفسه من الظلم لعباده مع قدرته عليه جوداً منه وكرماً وإحساناً .

(٢) يعنى أن الأحياء هم الذين يدعون للأموات ويسألون الله لهم الرحمة والمغفرة وقد عكس ذلك عباد الأموات فدعوهم مع الله ومن دون الله ودعوتهم شرك أكبر مع أنهم لايسمعون دعاء من دعاهم ولا يستجيبون لهم بشيء ، قال الله تعالى : (إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فسمى هذا الدعاء شركا وعباد القبور يدعون أن الأموات يقربونهم إلى الله زلفى .

(٣) الحين بالفتح الهلاك

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبى بكر الصديق تفضيلا له وتقديماً على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنـه ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

ونحب العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ ، ونشهد لهم بالجنة ، وهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ، ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وذرياته فقد برىء من النفاق .

وعلماء السلف من السابقين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ولا نفضل أحداً من الأولياء على الأنبياء (١) ونقول نبى واحد أفضل من جميع الأولياء ، ونؤمن بما جاء فى كراماتهم (٢) ،وصح عن الثقات من رواياتهم . ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة من الأرض

---

(١) قوله : ولا نفضل أحداً من الاولياء على أحد من الأنبياء يريد بهذا الرد على أهل الاتحاد القائلين إن الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

مقام النبوة فى برزخ ‏ ‏ فويق الرسول ودون الولى

ويقولون : إن ولاية النبى أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته وهذا من الجهل بالله وبأنبيائه ورسله وهل كان الولى وليا إلا بتقوى الله بامتثال أوامره وترك نواهيه واقتفائه لرسل الله الذين أوجب الله طاعتهم واقتفاء آثارهم ؟ولكن هذا من علو الاتحادية والمتصوفة وخروجهم عن الصراط المستقيم

(٢) كرامات الاولياء حق ثابتة بالكتاب والسنة وهى متواترة لا ينكرها إلا أهل البدع كالمعتزلة ومن نحا نحوهم من المتكلمين ؛ وقد ضال أهل الحق من أنكرها لأنه بإنكارها صادم الكتاب والسنة ، ومن عارضهما وصادمهما برأيه الفاسد وعقله الكاسد فهو ضال مبتدع .

موضعها ولا نصدق كاهناً ولا عرّافاً ولا من يدعى شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وترى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة ذماً وزيغاً وعذاباً .

ودين الله تعالى فى السماء والأرض واحد ، وهو الإسلام ، قال الله تعالى : (ومَن يَبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو فى الآخرةِ من الخاسرينَ) وقال الله تعالى (إنّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلام) وقال تعالى (ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً) وهو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن واليأس ، فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذى ذكرناه وبيناه ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية(١) مثل: مذاهب المشبهة والجهمية والجبرية والقدرية والرافضة وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم برآء وهم عندنا ضلال أردياء والصلاة على بدر التمام وشمس الإسلام ومصباح الظلام محمد عليه السلام ؟

---

(١) كل مذهب خالف ما عليه أهل السنة والجماعة مذهب ردى باطل وقد رد الله على المشبهة والجهمية المعطلة بقوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فالمشبه يعبد صنما ، والمعطل يعبد عدماً ، والمثبت يعبد رباً واحداً فرداً صمداً ، وما أحسن قول ابن القيم فى النونية :

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه من أوصافنا ... إن المعطل عابد البهتان

ثم اعلم أن الجهمية نفاة الصفات ، والجبرية الذين قالوا ليس للعبد فعل اختيارى والقدرية الذين قالوا إن العباد يخلقون أفعالهم ، والرافضة الذين كفروا الصحابة وسلكوا مسلك الجهمية فى نفى الصفات ، كل هذه الفرق من فرق الزيغ والضلال والجهم هو الذى ابتدع التعطيل والجبر والإرجاء كما حكاه فى النونية وإن نسب منها شىء إلى غيره فلكونه نصرها وأيدها وما أحسن ما قيل :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا ... وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره ... إما عن الله أو عن سيد البشر

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . لقد كمل بعون الله طبع العقيدة الطحارية وحواشيها السلفية المفيدة ، وقد رأينا تتميما للفائدة إلحاقها بقصيدة الشيخ ملا عمران بن رضوان الشهيرة ، ثم برسالة أخرى فى الرد على الملحدين المارقين قال العلامة الشيخ ملا عمران بن رضوان من سكان بلدة لنجة من أرض فارس :

قل للذى اتخذ التجهُّم مركباً ورآه ديناً وارتضاه مذهباً
ولمذهب الأبرار صار مكذباً إن كان تابع أحمداً متوهبا
فأنا المقر بأننى وهاب
لا ذنب لى فيما رآه المبتلى إلا اعتماد الواحد الفرد العلى
والأخذ بالقرآن والنص الجلى أنفى الشريك عن الإله فليس لى
رب سوى المتفرد الوهاب
فهو المرجى فى الشدائد والبلا وهو المؤمل إذ يعم الابتلا
مالى سوى رب السموات العلى لا قبة ترجى ولا وثن ولا
قبر له سبب من الأسباب
فالالتجاء لواحد أحد فلا ملك يلاذ به ولا من أرسلا
أو صالحاً نال التقرب والولا كلا ولا حجر ولا شجر ولا
عين ولا نصب من الأنصاب
وطلاسم قد أعجمت كعزيمة والعقد فى خيط ولو لبهيمة
والجامعات بكاغد ورقيمة أيضاً ولست معلقاً لتميمة
أو حلقة أو ودعة أو باب
أى ضرس وحش علقوه بنية فى جيد مولود لهم وصبية
حرز له من عين أو جنية لرجاء نفع أو دفع بلية
الله ينفعنى ويدفع ما بى

وزيادة فى الدين من متشبث بعبادة معلولة متعبث
لم يستند فيها بقول محدث والابتداع وكل أمر محدث
فى الدين ينكره أولو الألباب

إن يفعلوه يقولوا عن أرسلا أو يعملوه يروا عليه معولا
أو يالفوه يجاهروا بين الملا أرجو بأنى لا أقاربه ولا
أرضاه ديناً وهو غير صواب

وأقول للبارى صفات أثبتت وأعوذ من جهمية عنها عتت
وتأوّلت بعقولها وتعنتت وأمر آيات الصفات كما أتت
بخلاف كل مؤوّل مرتاب

لم أتخذ فى غير هذا أسوة حيث اقتبست من الأئمة جذوة
وجعلتها عند التمسك عروه والاستواء فإن حسبى قدوة
فيه مقال السادة الأقطاب

الآخذين من الكتاب المستنير والطالبين لوجه ذى الفضل الغنى
الضاربين بصارم لا ينثنى الشافعى ومالك وأبو حنى
فة وابن حنبل التقى الأواب

أنا لا أجادل مرة أو تارة كن ابتغى علم الكتاب تجارة
واعتاض بالدر النفيس حجارة كلا وربى لا أقول عبارة
كمقال ذى التأويل فى ذا الباب

لاخوض لى فى آية المتشابه(١) وأقول مهما مر آمنا به
ما قلت ترجمه أتى فى بابه بل إنه عين الكلام أتى به
جبريل ينسخ حكم كل كتاب

---

(١) لأهل العلم فى متشابه القرآن أقوال كثيرة ليس هذا محل ذكرها ، ولكن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن آيات الصفات من الآيات المحكمات لا المتشابهات .

فالجهم قال برأيه وبخرصه　　إذ خالف الأثر الصحيح بنصه
والختم زينته برونق فصه　　هذا الذى جاء الصحيح بنصه
وهو اعتقاد الآل والأصحاب

ذا منهج السلف الذى يرجى به　　نيل النجاة لمن أتى من بابه
هدى النبي ومقتفى أصحابه　　وبمصرنا من جاء معتقداً به
صاحوا عليه مجسم وهّاب

ماذا رأوا فيهم من الأمر الخلل　　ماشاهدوا منهم على ضرب المثل
إلا اتباع المصطفى فيما نقل　　جاء الحديث بغربة الاسلام فل
يبكى المحب لغربة الأحباب

وينوح من أسف على ما فاته　　فيما مضى وليغتنم أوقاته
من قبل أن تدنو إليه وفاته　　هذا زمان من أراد نجاته
لا يعتمد إلا حضور كتاب

متدبّراً أحكامه بتفهّم　　من غير تبديل وغير توهم
لو كان فى ديجور ليل مبهم　　خير له من صاحب متجهم
ذى بدعة يمشى كمشى غراب

فكأنه اص يدبر غارة　　فيقوم حيناً ثم يقعد تارة
جعل الاله بمقلتيه غبارة　　مهما تلا القرآن قال عبارة
أى أنه كمترجم لخطاب

فعسى الاله يجود باللطف الخفى　　ويعيذنا بجنابه البر الوفى
من شر جهمى عنيد مختفى　　وإذا تلا آى الصفات يخوض فى
تأويلها خوضاً بغير حساب

نقموا على من قال إن دليلنا　　فى محكم التنزيل وهو سبيلنا
ما ذاك إلا قصدهم تشتيتنا　　فالله يحمينا ويحفظ ديننا
من شر كل معاند سبّاب

ويخص أهل الحق منه برتبة مقرونة بسعادة وبقربة
ويزيل عنهم ما لقوا من كربة ويؤيد الدين الحنيف بعصبة
متمسكين بسنة وكتاب

هاب العدو منهم لشدة بأسهم وشعار دين الله خير لباسهم
دانوا به مذ حل فى انفاسهم لا يأخذون برأيهم وقياسهم
وامم إلى الوحيين خير مآب

أخذوا بما قد جاء من وحى السما ونفوا أقاويل الغواية والعما
وتبرأوا ممن طغى وتجهما لا يشربون من المكدر إنما
لهم من الصدق ألذ شراب

كل له فن وهم ذا فنهم متمسكين بدينهم فكأنهم
قبضوا على جمر الغضا لكنهم قد أخبر المختار عنهم أنهم
غرباء بين الأهل والأصحاب

يتدارسون العلم فى غدواتهم والذكر والقرآن فى روحاتهم
لا يألفون الخلق فى عاداتهم فى معزل عنهم وعن شطحاتهم
وعن الغلو وعن بناء قباب

الذكر دينهم على طول المدى ومجالس التدريس تشرق بالهدى
ذكراً وتوحيداً وفقهاً يقتدى سلكوا طريق السابقين إلى الهدى
ومشوا على منهاجهم بصواب

انهم دوى النحل إن يتوافروا إن خيموا فى أرضهم أوسافروا
لا يخفرون ذمام قوم خافروا! من أجل ذا أهل الغلو تنافروا
عنهم فقلنا ليس ذا بعجاب

لا تعجبوا منهم ومما قد جرى من كان لا يدرى فليس كمن درى
ذى سلعة قل للذى منها شرا نفر الدين دعاهم خير الورى
إذ لقبوه بساحر كذاب

قد كان يدعى فيهم بأمانة　　ومقال صدق واجتناب خيانة
فتنقصوه بجنة وكهانة　　مع علمهم بأمانة وديانة
فيه ومكرمة وصدق جواب

علم الهدى ذاك النبي المجتبى　　أسرى به البارى إلى سبع الطبا
ق مكرماً ومبجلا ومهذباً　　صلى عليه ما هب الصبا
وعلى جميع الآل والأصحاب

تم تصحيح هذه القصيدة المفيدة الفريدة فى بابها ولم يكن بيد الطبع سوى نسخة هندية كثيرة التحريف والتبديل ؛ فاجتهدنا فى تحرى الصواب ؛ والله الموفق وبه المستعان ؟

يقول الفقير إلى رحمة ربه ــ محمد بن عبد العزيز بن مانع

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد : فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليه القرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، وأمره بتبيينه للناس كما قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) قام عليه السلام بما أمره به ربه ؛ فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة فتلقى عنه الصحابة كتاب ربهم فآمنوا به ، وتدبروا آياته ، وعملوا بما دلت عليه وفهموا معانيها بمجرد سماعها ، لأنها نزلت بلغتهم وكانت فطرهم سليمة ، يدركون فهم المعانى بمجرد سماع الألفاظ الدالة عليها ، فتم أمر الدين واستقام الإسلام بتبليغ النبى عليه الصلاة والسلام لهم ذلك ، وسار التابعون على منهاج الصحابة بالعلم والفهم والعمل والدعوة إلى دين الله ، وتمسك من جاء بعد التابعين ممن أراد الله هدايته وكتب له فى الأزل السعادة بما كانوا عليه من الإيمان والهدى الموروث عن سيد المرسلين ، ثم إنه نجم بعد ذلك طوائف وأحزاب فسدت فطرهم ، وغلظت طبائعهم ، وتبلدت أذهانهم ، وزاغت عقائدهم ، فتشربت قلوبهم ضلالات الفلاسفة الذين لم يكونوا على دين مرضى صحيح ، فأبغضوا الإسلام باطناً ، وانتسبوا إليه ظاهراً ، فأخذوا يكيدون لأهل الإسلام بأنواع المكائد المفسدة للدين ، التى بسببها ضعف الإسلام ، وتشتت أهله ، فأتوا إلى ما به سعادتهم وفلاحهم ، وهو كتاب ربهم ، ووصفوه زوراً وبهتاناً بما يقلل اعتقاد المسلمين به . وقالوا : إنه ظنى الدلالة كشأن الأدلة اللفظية الواردة بالسنة بزعمهم ، ويالها من كلمة ما أكفرها ! فتلقى هذه القاعدة الخاطئة الكاذبة أناس قد تشبهوا بأهل العلم بالدعوى لا بالحقيقة ، وأذاعوها بين الناس ، ولبسوا على الناس بقولهم

القرآن قطعى النزول ظنى الدلالة ، إذ لو قالوا كلمة الكفر من أول مرة لقام المسلمون بوجوههم ورموهم بالحجارة ، ولكنهم قالوا قطعى النزول ليلبسوا الحق بالباطل ، فيقال لهؤلاء المارقين : إن الله قد ذم الظن المجرد وأهله فقال تعالى (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً) وعلى قول هؤلاء الكافرين يكون قول الله تعالى (وبالآخرة هم يوقنون) خبراً غير مطابق ؛ فإن علمهم بالآخرة إنما استفادوه من الأدلة اللفظية الواردة بالكتاب والسنة ، لاسيما وجمهور المتكلمين يصرحون بأن المعاد إنما علم بالنقل ، فإذا كان النقل لا يفيد يقيناً لم يكن فى الأمة من يوقن بالآخرة ، إذ الأدلة العقلية لا مدخل لها فيها ، وكفى بهذا بطلاناً وفساداً وقد تصدى علماء المسلمين : كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم للرد عليهم ، وبيان باطلهم ، فألف شيخ الإسلام كتاب العقل والنقل فى هذه المسألة المهمة التى زاغت بسببها عقائد أناس ينتسبون إلى الاسلام ، وكذلك ابن القيم رد عليهم بما أبان الحق وأزهق الباطل فى كتابيه : الصواعق ، والنونية وغيرهما ، وإليك فصلا مستقلا من النونية متضمناً الرد على أهل هذه النحلة الفاسدة والعقيدة الزائفة ، قال رحمه الله :

﴿ فصل ﴾

فى بطلان قول الملحدين أن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين

واحذر مقالات الذين تفرقوا شيعاً وكانوا شيعة الشيطان
واسأل خبيراً عنهم ينبيك عن أسرارهم بنصيحة وبيان
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة كلا ولا أثر ولا قرآن

إذ كل ذاك أدلة لفظية لم تبد عن علم ولا إيقان
فيها اشتراك ثم إجمال يرى وتجوُّز بالزيد والنقصان
وكذلك الإضمار والتخصيص والحذف الذى لم يبد عن تبيان
والنقل آحاد فموقوف على صدق الرواة ، وليس ذو برهان
إذ بعضهم فى البعض يقدح دائماً والقدح فيهم فهو ذا إمكان
وتواتر وهو القليل ونادر جداً فأين القطع بالبرهان
هذا ويحتاج السلامة بعدمن ذاك المعارض صاحب السلطان
وهو الذى بالعقل يعرف صدقه والنفى مظنون لدى الانسان
فلأجل هذا قد عزلناها ووليـنـا العقول ومنطق اليونان

فانظر إلى الاسلام كيف بقاؤه من بعد هذا القول ذى البطلان
وانظر إلى القرآن معزولا لديهـم عن نفوذ ولاية الايقان
وانظر إلى قول الرسول كذاك معزولا لديهم ليس ذا سلطان
والله ما عزلوه تعظيماً له أيظن ذلك قط ذو عرفان ؟
ياليتهم إذ يحكمون بعزله لم يرفعوا رايات جنكسخان
ياويلهم ولولا نتائج فكرهم وقضوا بها قطعاً على القرآن
وزبالهم ولولا إشارات ابن سينـا حين ولولا منطق اليونان

وانظر إلى نص الكتاب مجدلا　　وسط العرين ممزق اللحمان
بالطعن بالإجمال والإضمار والتخصيص　　والتأويل بالبهتان
والاشتراك وبالمجاز وحذف ما　　شاءوا بدعواهم بلا برهان
وانظر إليه ليس ينفذ حكمه　　بين الخصوم ، وما له من شان
وانظر إليه ليس يقبل قوله　　فى العلم بالأوصاف للرحمن
لكنما المقبول حكم العقل لا　　أحكامه لا يستوى الحكمان
يبكى عليه أهله وجنوده　　بدمائهم ومدامع الأجفان
عهدوه قدماً ليس يحكم غيره　　وسواه معزول عن السلطان
إن غاب نابت عنه أقوال الرسو　　ل هما لهم دون الورى حكمان
فأتاهم ما لم يكن فى ظنهم　　فى حكم جنكسخان ذى الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من المغـول　　ثم اللاص والعلان
فعلوا بمائه وسننه كما　　فعلوا بأمته من العدوان
والله ما انقادوا لجنكسخان حتى أعرضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه إلا بعد عز　　ل الوحى عن علم وعن إيقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليقين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذى فعلوه حتى تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القرآن عضين (١) إذ عضوه أنواعاً معددة من النقصان

(١) قوله جعلوا القرآن عضين الخ عضين ، جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عض الشاة إذ جعلها أعضاء ومراد الناظم رحمه الله بذلك ، أن هؤلاء الملحدين جعلوا القرآن الكريم أجزاء وتنقصوه أعظم النقص منها ، قولهم إنه لم يبد من الله سبحانه وتعالى وإنما بدا من غيره أما أنه خلق من اللوح المحفوظ أو أنشأه جبريل أو الرسول الثانى وهو محمد ﷺ ، والقائلون بالكلام النفسى جعلوا بعضه كلام الله وهو المعنى وبعضه كلام غيره وهو الألفاظ فسلبوه بذلك أكمل وصفه ؛ إذ قالوا ، إن نصوصه لا تفيد اليقين وأى تنقص أعظم من هذا ؟

منها انتفاء خروجه من ربنا(١) لم يبد من رب ولا رحمن
لكنه خلق من اللوح ابتدا أو جبرئيل أو الرسول الثانى
ما قاله رب السموات العلى ليس الكلام بوصف ذى الغفران
تباً لهم ! سلبوه أكمل وصفه عضهوه عضه الريب والكفران(٢)
هل يستوى بالله نسبته إلى بشر ونسبته إلى الرحمن
من أين للمخلوق عز صفاته ؟ الله أكبر ليس يستويان
بين الصفات وبين مخلوق كما بين الإله وهذه الأكوان

هذا وقد عضهوه أن نصوصه معزولة عن إمرة الإيقان
لكن غايتها الظنون وليته ظناً يكون مطابقاً ببيان
لكن ظواهر لا يطابق ظنها ما فى الحقيقة عندنا بوزان

---

(١) قوله منها انتفاء خروجه من ربنا الخ قال النبي عليه السلام ، ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه يعنى القرآن .

(٢) قال الراغب فى قوله تعالى (جعلوا القرآن عضين) أى مفرقاً فقالوا كهانة وقالوا أساطير الأولين ، إلى غير ذلك مما وصفوه به اه ، وكذلك أهل الباطل عضهوه عضه الريب والكفران ، فنسبوه إلى غير قائله فنهم من نسبه إلى جبريل ، ومنهم من نسبه إلى محمد ومنهم من قال ؛ إنه مخلوق فى اللوح المحفوظ إلى غير ذلك من أقوالهم الباطلة وأهل الحق يقولون ، إنه كلام الله منزل غير مخلوق ، ومنه بدأ وإليه يعود ، وحروفه ومعانيه عين كلام الله وليست حروفه مخلوقة لتدل عليه ، فإن هذا قول خبيث باطل ، ويرحم الله القائل حيث قال ؛

وكلام ربى آية وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان =

إلا إذا ما أوّلت فمجازها بزيادة فيها أو النقصان
أو بالكناية واستعارات وتشبيه وأنواع المجاز الثاني
فالقطع ليس يفيده والظن منفى كذلك فانتفى الأمران
فلم الملامة إذ عزلناها ووليّنا العقول وفكرة الأذهان
فالله يعظم في النصوص أجوركم يا أمة الآثار والقرآن
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها أبداً ولا تحييهم لهوان
هذا وقولهم خلاف الحس(١) والمعقول والمنقول والبرهان
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الأولى وسنة ربنا الرحمن
فالله قد فطر العباد على التفا هم بالخطاب لمقصد التبيان

= وقوله ، ومدادنا والرق مخلوقان فيه رد على المفترين على الحنابلة من أهل البدع كصاحب شرح النسفية الزاعمين بأن الحنابلة يقولون بقدم المداد والورق وهذا كذب صريح على الحنابلة وسائر أهل السنة والجماعة.

(١) قوله هذا ، وقولهم خلاف الحس الخ ، يريد الناظم رحمه الله تعالى أن يبين أن قول الملاحدة القائلين بأن الاستدلال بكلام الله وكلام رسوله لا يفيد اليقين قول مخالف للحس والعقل والنقل والفطرة ، وذلك أن الله تعالى فطر العباد على التفاهم بالخطاب فكل يدل على الذى فى نفسه بكلامه من جميع الألسنة وهكذا دلالة القرآن والسنة على معانيهما من جنس دلالة لغة كل قوم على ما يعرفونه ويعانونه من تلك اللغة ، وذلك لا يختص بالعرب بل هو أمر ضرورى لجميع بنى آدم ، وإنما يتوقف العلم بمدلول ألفاظهم على كونهم من أهل تلك اللغة التى وقع بها التخاطب ، ولهذا لم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فتقوم عليهم الحجة بما فهموه من خطاب ربهم لهم ، فدلالة اللفظ هى العلم بقصد المتكلم.

كل يدل على الذى فى نفسه بكلامه من أهل كل لسان
فترى المخاطب(١) قاطع بمراده هذا مع التقصير فى الانسان
إذ كل لفظ غير لفظ نبينا هو دونه فى ذا بلا نكران

حاشا كلام الله فهو الغاية القصوى ، له أعلا ذرا التبيان
لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن
فهو الذى استولى على التبيان كاستيلائه حقاً على الاحسان
ما بعد تبيان الرسول لناظر(٢) إلا العمى ، والعيب فى العميان

فانظر إلى قول الرسول(٣) لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن

---

(١) قوله « فترى المخاطب قاطع بمراده » أى ترى المخاطب بفتح الطاء قاطع بمراد المخاطب بكسر الطاء وذلك مع التقصير فى الأنسان ، إذ كل لفظ غير لفظ الرسول هو دونه بغير شك ، حاشا كلام الله فهو الغاية القصوى فى التبيان .

(٢) قوله لناظر : قال الراغب : النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته قال : واستعمال النظر فى البصر أكثر عند العامة وفى البصيرة أكثر عند الخاصة اه فقول الناظم رحمه الله إلا لعمى الخ مراده به عمى البصيرة : لأنه العمى الضار الذى بسببه زاغت الأفهام وزلت أقدام أهل البدع ؛ وانحرفت عن الصراط المستقيم .

(٣) قوله فانظر إلى قول الرسول لسائل الخ أراد الناظم رحمه الله بهذه الأبيات أن يبين أن بيان الرسول فوق كل بيان ؛ فإنه لما سأله السائل عن رؤية الله يوم القيامة قال : فهل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس دونها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما .

حقاً ترون إلهكم يوم اللقا ... رؤيا العيان ، كما يرى القمران
كالبدر ليلة تمامه ، والشمس فى ... نحر الظهيرة ، ما هما مثلان (١)
بل قصده تحقيق رؤيتنا له ... فأتى بأظهر ما يرى بعيان
ونفى السحاب وذاك أمر مانع ... من رؤية القمرين فى ذا الآن
فإذا أتى (٢) بالمقتضى ونفى الموا ... نع خشية التقصير فى التبيان
صلى عليه الله ما هذا الذى ... يأتى به من بعد ذا التبيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا ... أهل العمى من بعد ذا التبيان

= فهل بعد هذا البيان والإيضاح شيء ؟ وهل يعقل أن يقال هذا اللفظ ليس بقطعى الدلالة على معناه ؟ وقد بينه النبي عليه السلام أتم بيان ؛ ولكن الامر كما قيل

فيالك من آيات حق لو اهتدى ... بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

(١) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى ؛ لأن الله ليس له مثيل ولا شبيه .

(٢) قوله : فإذا أتى بالمقتضى هو بكسر الضاد إسم فاعل ؛ وهو أنه ليس دون الرؤية سحاب والشمس فى نحر الظهيرة ؛ فإذا تم المقتضى حصل المقتضى أى بالفتح ؛ ولكن لا حيلة فى أهل التحريف والتعطيل ، الذين أذلهم الله وخذلهم من الكلابية ، وسائر المتكلمين السالكين مسلك أهل الاعتزال الذين صاروا من أعظم المصائب على الاسلام والمسلمين ، ولقد كانت لأهل الاعتزال دولة وصولة فى أوائل الدولة العباسية ، فنصروا التجهم وأعزوا أهل البدع وأهانوا علماء أهل السنة وقتلوا من قتلوا منهم لما لم يوافقوهم على ضلالهم وسرعان ماأذهب الله دولة أهل البدع والضلال ونصر أهل السنة فى أيام الخليفة المتوكل على الله عليه رحمة الله ؛ ولكن ذلك بعد ما تمكن الضعف فى المسلمين وتغلبت عليهم الأعاجم واستولت على أمور الدولة حتى فعلوا بالخليفة ما فعلوا ؛ واستمر الضعف والانحطاط بشؤم أهل التجهم والاعتزال. ولم يكن للإسلام قوة وصولة فى عصر من الأعصار إلا إذا اعتصم المسلمون بكتاب

فأى لفظ جاءكم قلتم له ذا اللفظ معزول عن الايقان
وضربتم فى وجهه بعساكر التأويل دفعاً منكم بليان
لو أنكم والله عاملتم بذا (١) أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها وغدت علوم الناس ذات هوان
هذا وليسوا فى بيان علومهم مثل الرسول ومنزل القرآن
والله لو صح الذى قد قلتم قطعت سبيل العلم والإيمان
فالعقل لا يهدى إلى تفصيلها لكن ما جاءت به الوحيان
فإذا غدا التفصيل لفظياً ومعزولا عن الايقان والرجحان
فهناك لا علماً أفادت لا ولا ظناً وهذا غاية الحرمان

= الله وسنة رسوله يعلم ذلك من له إلمام فى تاريخ الاسلام القديم والحديث : ولما ذهبت دولة المعتزلة بذهاب الحكام القائمين بها وجاءت دولة الامام المتوكل على الله التى نصرت السنة وقمعت البدعة وصارت التولية والعزل فى المناصب الدينية منوطة برأى الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وقد قال أحد الشعراء فى ذلك ؛

ذهبت دولة أصحاب البدع ووهى حبلهم ثم انقطع
وتداعى بانصرام شملهم حزب إبليس الذى كان جمع
هل لهم يا قوم فى بدعتهم من فقيه أو إمام متبع
ومنها ؛
أو فتى الاسلام أعنى أحمداً ذاك لو قارعه الفيل قرع
لم يخف سطوتهم إذ خوفوا لا ولا سيفهم لما لمع

(١) قوله ؛ لو أنكم والله عاملتم بذا الخ ، تأمل ما جاء بهذه الأبيات الجليلة من الالزامات الدالة على بطلان قول الملحدين ؛ فإن رحمه الله ألزمهم بقوله ؛ لو أنكم عاملتم أهل العلوم وكتبهم بما عاملتم به الوحيين لفسدت تصانيف الناس ؛ وأيضاً لو صح هذا الذى قلتموه لانقطعت سبيل العلم والايمان ؛ لأن العقل لا يهدى إلى =

وصح ذاك القول لم يحصل لنا ... قطع بقول قط من إنسان
وغدا التخاطب فاسداً وفساده ... أصل الفساد لنوع ذا الانسان
ما كان يحصل علمنا بشهادة ... ووصية كلا ولا إيمان
وكذلك الاقرار يصبح فاسداً ... إذ كان محتملا لسبع معان
وكذا عقود العالمين بأسرها ... باللفظ إذ يتخاطب الرجلان
أيسوغ للشهدا شهادتهم بها ... من غير علم منهم ببيان ؟
إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة ... للعلم بل للظن ذى الرجحان
بل لا يسوغ لشاهد أبداً شهادته ... على مدلول نطق لسان
بل لا يراق دم بلفظ الكفر من ... متكلم بالظن والحسبان
بل لا يباح الفرج بالاذن الذى ... هو شرط صحته من النسوان
أيسوغ للشهداء جزمهم بأن ... رضيت بلفظ قابل لمعان
هذا وجملة ما يقال بأنه ... فى ذا فساد العقل والأديان
هذا ومن بهتانهم (١) أن اللغات ... أتت بنقل الفرد والوجدان

= تفصيلها ولا سبيل إلى تفصيلها إلا بما جاء عن الله ورسوله فإذا صار التفصيل لفظياً وهو معزول عن اليقين فحينئذ لا تفيد علماً ولا ظناً ؛ وأيضاً لو صح ما قلتموه فسد التخاطب ولم يصح لنا قطع بقول من إنسان فلايصح لنا علم بشهادة ولا وصية ولا يمين ولا إقرار بل لا يراق دم بلفظ كفر ؛ ولا يباح فرج إلا بإذن الذى هو شرط صحته من النساء ولايسوغ للشهداء جزمهم بأنها رضيت ؛ إذ ذاك قابل للمعانى المذكورة بل تفسد بذلك العقول والأديان ونعوذ بالله من الخذلان اه .

(١) قوله هذا ومن بهتانهم الخ ؛ يعنى أن النفاة قالوا ؛ إن اللغات أتت بنقل الآحاد وهذا تدليس وتلبيس ؛ لأن الألفاظ من الأخبار والقرآن يفهم منها مراد المتكلم بمجرد سماعها من غير حاجة إلى النقل اللهم إلا الأقل ؛ كما قال الناظم فانه يحتاج للنقل الصحيح اه ؛ وقال فى الصواعق قوله أى القائل إن العلم بمدلول الأدلة اللفظية موقوف على نقل اللغة كلام ظاهر البطلان .

فانظر إلى الألفاظ فى جريانها في هذه الأخبار والقرآن
أتظنها تحتاج نقلا مسنداً متواتراً أو نقل ذى وحدان ؟
أم قد جرت مجرى الضروريات لا تحتاج نقلا وهى ذات بيان
إلا الأقل فانه يحتاج للنقــل الصحيح وذاك ذو تبيان
ومن المصائب (١) قول قائلهم بأن الله أظهر لفظة بلسان
وخلافهم فيه كثير ظاهر عربى وضع ذاك أم سريانى
وكذا اختلافهم أمُشتقاً يرى أم جامداً قولان مشهوران
والأصل ماذا فيه خلف ثابت عند النحاة وذاك ذو ألوان
هذا ولفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها مدى الأزمان
فانظر بحق الله ماذا فى الذى قالوه من لبس ومن بهتان

---

(١) قوله : ومن المصائب أى التى تلبس بها المعطلة أنهم قالوا : بأن لفظة الله فيها خلاف هل هو عربى أو سريانى ؛ وكذا فيه اختلاف هل هو مشتق أو هو جامد وأصله ماذا ؟ ومع هذا فلفظ الله أظهر لفظة نطق اللسان بها ؛ قال الناظم رحمه الله : فانظر أيها الناظر فى هذا الكتاب مافى هذا الكلام من التلبيس والبهتان وذلك أنه لا خلاف بين العقلاء : فى أن الله إسم لرب العالمين خالق السموات والأرض الذى يحي ويميت وهو رب كل شيء ومالكه فهم لا يختلفون فى أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أشهر عندهم وأعرف من كل إسم وضع لكل مسمى ، وإن كان الناس متنازعين فى اشتقاقه فليس ذلك بنزاع فى معناه ولا يتطرق إلى ذلك إجمال ولا مجاز ومن غير نظر إلى أنه عربى أم سريانى وهل هو مشتق أم جامد فان هذا خلاف فى أحوال اللفظ لا فى وضعه ثم ضرب الناظم لذلك مثلا فقال وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة الخ وفيه لهم قولان ، فليس بينهم خلاف بأن مرادهم حرم الله وقبلة المسلمين ونظير هذا إذا اختلفوا بلفظة أحمد ولهم فى ذلك قولان : فليس بينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ونظائر هذا لا تحصى فبمثل هذا

هل خالف العقلاء أن الله رب العالمين مدبر الأكوان
ما فيه إجمال ولا هو موهم نقل المجاز ولا له وضعان
والخلف فى أحوال ذاك اللفظ لا فى وضعه لم يختلف رجلان
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة فيه لهم قولان معروفان
أفبينهم خلف بأن مرادهم حرم الاله وقبلة البلدان
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد فيه لهم قولان مذكوران
أفبينهم خلف بأن مرادهم منه رسول الله ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة يا قوم فاستحيوا من الرحمن
أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو ص الوحى عن علم وعن إيقان
فالحمد لله المعافى عبده مما بلاكم يا ذوى العرفان
فلاجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ومضوا على آثار كل مهان
ولاجل ذاك غدوا على السنن التى جاءت وأهليها ذوى أضغان
يرمونهم كذباً بكل عظيمة حاشاهم من إفك ذى بهتان

الهذيان تعزل نصوص الكتاب والسنة عن إفادة اليقين ثم حمد الله تعالى على المعافاة مما ابتلاهم به من المحنة ، وخلاف نصوص الكتاب والسنة اه ؛ وقد زاد على هذا أمثلة فى الصواعق والتلبيس بمثل هذا قد ألفناه كثيراً من كتب أهل البدع والضلال نسأل الله السلامة ؛ فى الدين والدنيا بمنه وكرمه .

وقد رأينا إتماماً للفائدة إتباع هذا الفصل الجليل بأبيات مفيده لابن القيم أيضاً فى الموضوع مذكورة فى الصواعق؛ قال رحمه الله:

فعلى عقولكم العفاء (١) فإنكم عاديتم المعقـول والمنقولا
وطلبتم أمراً محالا وهو إد راك الهدى لاتتبعون رسولا
وزعمتم أن العقول كفيلة بالحق أين العقل كان كفيلا
وهو الذى يقضى فينقض حكمه عقل ترون كليهما معقولا
وتراه يجزم بالقضاء، وبعد ذا يأتى لديه باطلا معـلولا
لا يستقل العقل دون هداية بالوحى تأصيلا ولا تفصيلا
كالطرف دون النور ليس بمدرك حتى تراه بكرة وأصيلا
فإذا الظلام تلاطمت أمواجه وطمعت بالإبصار كنت محيلا
وإذا النبوة لم ينلك ضياؤها فالعقل لايهديك قط سبيلا
نور النبوة مثل نور الشمس للـ ـعين البصيرة فاتخذه دليلا
طرق الهدى مسودة إلا على من أم هذا الوحى والتنزيلا
فإذا عدلت عن الطريق تعمداً فاعلم بأنك ما أردت وصولا
ياطالباً درك الهدى بالعقل دو ن النقل لن تلقى لذاك دليلا
كم رام قبلك ذاك من متلدد حيران عاش مدى الزمان جهولا
مازالت الشبهات تغزو قلبه حتى تشحط بينهن قتيلا
فتراه بالكلى والجزئى والـ ذاتى طول زمانه مشغولا
فإذا أتاه الوحى لم يأبه له ويقوم بين يدى عداه مثيلا
ويقول: تلك ادلة لفظية معزولة عن أن تكون دليلا

---

(١) العفاء: كسماء التراب قال بعض الأقدمين: إذا دخلت بيتى فأكلت رغيفاً وشربت عليه ماء، فعلى الدنيا العفاء.

وإذا تمر عليه قال : لها اذهبي نحو الجسم أو خذى التأويلا
وإذا أبت إلا النزول عليه كا ن لها القرى التحريف والتبديلا
فيحل بالأعداء ما تلقاه من كيد يكون لحقها تعطيلا
واضرب لهم مثلا بعميان خلوا في ظلمة لا يهتدون سبيلا
فتصادموا بأكفهم وعصيهم ضربا يدير رحى القتال طويلا
حتى إذا ملوا القتال رأيتهم مشجوجاً أو مبعوجاً او مقتولا
وتسامع العميان حتى أقبلوا للصلح فازداد الصياح عويلا

وهـذه أبيات مختارة من الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية نختم بها هذه الرسالة ، قال ابن القيم رحمه الله :

حدق بقلبك فى النصوص كمثل ما قد حدقوا فى الرى طول زمان
فالوحى كاف للذى يعنى به شاف لداء جهالة الإنسان
وتفاوت العلماء فى أفهامهم للوحى فوق تفاوت الأبدان
والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران فى التركيب متفقان
نص من القرآن ، أو من سنة وطبيب ذاك العالم الربانى
والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهى الذى هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثانى
والكل فى القرآن والسنن التى جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان

تم تحريراً بمكة المكرمة فى ربيع الثانى سنة ١٣٧٢ ﻫ